مرجريت البريطانية

سبعة عشر عاما مضت .. ولم تغب عنى حتى هذه اللحظة صورة هذا اللقاء الذى نسج القدر خيوطه فى مدينة (استراتفورد) .. كنت أجلس وحيدا على مقعد من الصخر .. ولم يكن يشاركنى الجلوس أحد على هذا المقعد الذى أكل عليه الدهر .. !

كنت سابحا فى تأملاتى الخاصة .. وكان عقلى فى رحلة « إبحار » بعيدة إلى آخر الدنيا ..

فجأة .. توقف .. رجل .. وفتاة .. كان الرجل قسا .. أما الفتاة فلم تكن من نوع هؤلاء الفتيات اللائى يعترضن طريقك عمدا .. !!

وبخاصة فى هذه المدينة الصغيرة الواقعة على نهر « أفون » وهى المدينة التى ولد فيها ـ شكسبير ـ أفسحت لهما مكانا بجوارى .. فالمقعد يتسع لجلوس خمسة .. وأنا .. والقس .. والفتاة لا نزيد عن ثلاثة .. ؟

قبل أن تجلس الفتاة والأب كان بينهما حوار سابق عن موقف الدين من المرأة .. وقد استأنفا هذا الحوار بعد فترة قصيرة من الراحة ..

وهاهو « القس » يهاجم الإسلام فى قسوة ، ويتهمه بالوحشية ، وإهدار حقوق المرأة .. !

انتظرت قليلا حتى أفرغ القس ماعنده .. لم يخطر بباله أنه وقع فى الفخ .. ؟

اقتربت منهما فى أدب .. واستأذنتهما فى التعليق على ما قاله الأب ..

وهنا سألنى القس ..

هل أنت مسلم .. ؟ ! أجل .. إننى مسلم ...

سكت الأب .. ولاذ بالصمت .. وقد لا حظت الفتاة إرتباكه المفاجئ ، وانه بدأ يتململ فى جلسته ويتثاءب .. !

.. غير أن الفتاة لم تدعه يذهب .. وأصرت على بقائه حتى ينتهى الحوار كما بدأ .. !

ومنذ ذلك التاريخ أو اليوم .. بدأت الآنسة مرجريت رحلتها بحثا عن الحق .. ولم تنقطع صلتها بى منذ ذلك اليوم ..

لقد اختارت الأخت مرجريت الإسلام .. ثم إنقطعت أخبارها حتى فوجئت بزيارتها لى فى القاهرة قبل بضعة أعوام [1]

* * *

لقد تحولت تحولا كبيرا يا أخت مرجريت ..

قلت لها ذلك بعد أن رأيتها فى زى إسلامى سابغ ، وفى سمت دينى وقور ..

كانت مرجريت قد تزوجت من أمريكى مسلم .. وسافرت للإقامة معه فى مدينة نيويورك وقد رزقت بطفلين اختارت لهما إسمى (أحمد) و (محمد) .. !!

أهذه هى مرجريت .. خريجة جامعة كمبردج والفتاة التى إنتزعت نفسها من حياة الإنحلال والكراهية والحقد ؟ .

لقد تداخلت فى عقلى الصور والقيم .. والواقع .. والمثل .. أمام هذه البانوراما المسلمة التى اسمها « مرجريت » ! .. وابنة الإمبراطورة التى واجهت - ولاتزال تواجه - الإسلام على إمتداد قارات الدنيا بشراسة وحقد ... ؟ !

منذ شهرين [2] مضيا سافرت إلى لندن بدعوة من المجلس الإسلامى العالمى لحضور مؤتمره الثانى فى إيرلزكورت ومن هناك .. حاولت الإتصال بالأخت « مرجريت » فى منزل الأسرة بمنطقة هامستد .. غير أنى لم أتلق جوابا من أحد .. وفى زيارة خاطفة إلى هامستد وجدت هذا البيت معروضا للبيع .. !

مفاجآت تثير الشجن .. وبخاصة بعد هذه المحنة التى فوجئت بها فى هذا المؤتمر .. !

إن لندن التى عرفتها قبل ثلاثين عاما فقد تغيرت .. ! .. لم يعد هناك أمن .. والجرائم تنتشر فى كل حى .. ، وركوب القطارات أصبح خطرا بعد سدول الليل .. كنت ألتفت ورائى من شدة الخوف فى الأحياء الهادئة .. !

---

(١) انظر قصة هذا اللقاء فى كتابنا « اجابات حاسمة إلى الأخت الفرنسية المسلمة » - مؤسسة الخليج - القاهرة ..

(٢) جمادى الأولى ١٤١٤ هـ الموافق سبتمبر ١٩٩٣ م

ترى إلى أين ذهبت الأخت مرجريت .. ؟ سؤال ستعرف إجابته فيما بعد ..فعلى مدى عامين كنت أكتب إليها وكانت تكتب الىّ ..

كما كانت تعلم بقصة حضورى إلى لندن فى هذا الشهر .. فكيف إختفت هكذا فجأة .. ؟

وكيف غادرت لندن وأسرتها بهذه السرعة .. ؟

* * *

لقد بدأ الإسلام غريبا ..

وسيعود غريبا كما بدأ ..

إن اليائسين يفسرون هذا الحديث تفسيرا يتفق مع نظرتهم المتشائمة بينما يشير هذا الحديث إلى ظهور الإسلام فى بيئة مشابهة للبيئة التى نشأ فيها الإسلام فى البداية .. من حيث الغربة النفسية ، والوحشة الفكرية ، ومن حيث التسامى على كل مغريات الحياة .. التافهة .. والرخيصة .. والزائلة ..

يقول العلامة (محمد اقبال) :

إن المسلم كالشمس ..

إذا غربت فى جهة طلعت فى جهة أخرى ..

فهى لاتزال طالعة .. !!

فالمسلم كما كان يراه :

هو رسالة الله الأخيرة .. موجة من أمواج بحر الإسلام العارم .. كبحر الحياة .. وبحر الوجود .. يتبدل العالم ولا يتبدل كيانه ... !!!

وقد صدق ..

فإن الإسلام لم ينكب فى ناحية من نواحى العالم .. إلا .. وقامت له دولة فى جانب آخر ..

ولم تسقط له رأيه .. إلا وخفقت له راية أخرى أكبر .. ولم يغب له نجم .. إلا

وظهر نجم آخر يعم سناه أرجاء الدنيا ..

ترى هل تشرق شمس الإسلام هذه المرة من الغرب ؟ !!

هذا هو السؤال الذى ستجيب عنه الأخت (مرجريت) ..

وفى هذه الرسائل الست[1] .. ؟!

---

(١) كان عدد هذه الرسائل سبع عشرة رسالة فى الأصل غير أننا أدمجنا هذه الرسائل بعضها فى بعض حسب الموضوعات التى كانت تتعرض لها هذه الرسائل فى الأصل .